

## المبادئ الأساسية في معاملة المسلم مع غير المسلم

سيكون حديثنا في هذا اليوم حول علاقة المسلم بغير المسلم. والذي دفعني للحديث حول هذا الموضوع هو ما حدث معي أو ما تعرضت له قبل يومين, حيث كنت قادماً من برشلونة إلى أليكانتي في القطار وعندما وصلت إلى أليكانتي نزل الناس ونزلت معهم من القطار. وأثناء نزولي لاحظت إنساناً ينظر إليّ من بعيد ولكني أكملت مسيري للخروج من المحطة ولكن الرجل اعترضني وأخرج محفظته من جيبه فإذا هو من رجل الشرطة. فقال لي بكل أدب واحترام: من فضلك أدخل معنا إلى مركز الشرطة. فدخلت معه. فطلب مني أوراق الإقامة. ثم تفاجئت بأخ عربي مسلم من الجزائر عليه سمات الصالح الطيبة... . وأخذ رجلُ الشرطة يبحث بالأوراق وأثناء ذلك قال لي الأخ الآخر كلاماً طيباً: من حقهم أن يبحثوا ويحافظوا على أمن بلادهم. قلت له: نعم, وهذا أمرٌ جيد, ويسعدني أن أعيش في بلدٍ يحرص أهله على أمنه. ولكن الملاحظ في الموضوع والمؤلم أن القطار كان ممتلئاً بالناس وكان فيه أكثر من خمسمائة مسافر ولم يوقف الشرطي إلا أنا وذلك الأخ. ثم بعد ذلك أعاد الشرطي إقامتي وأعتذر عن التأخير وقال لي: بإمكانك الذهاب. ثم خرجت من المحطة والتقيت بأخٍ من إخواننا وذكرت له ما حدث معي فقال لي: يا شيخ اليوم هو الحادي عشر من مارس آذار وهذا يذكرهم بتفجيرات مدريد التي قُتل فيها ما يُقارب مائتي إنسان بالإضافة إلى مئات الجرحى والمصابين. فقلت: إن الإساءة التي نجمت عن هذه التفجيرات لم تؤذي من أُصيب بها يوماً فحسب بل هي آذت وأساءت إلى مليون و مائتي ألف مسلم يعيشون في اسبانيا. فأصبح المسلم وكان من قبل سبب وقار في العالم فأصبح هو المجرم والمتهم والإرهابي وفي حقيقة الأمر ما هو إلا ضحية. فأقول لأولئك الذين أساءوا الفهم لفكرة الجهاد واعتدوا على الأبرياء والمسالمين وبنفس الوقت أوجه هذا الكلام لكم أيها الإخوة وللذين يقولون ممن لا يعرفون الإسلام من غير المسلمين, يقولون أن الإسلام دين دموي ودين إرهاب و قتل للأبرياء ويسبون الظن بالمسلمين وينظرون إلى الإسلام بنظرة الاتهام والإرهاب فأقول لكم جميعاً: إن الإسلامَ دينُ الحياة والسلام, دينٌ يأمر بالعدل

والإحسان وينهى عن الفحشاء وعن كل رذيلة, وينهى عن الظلم والعنف والاعتداء على الآخرين.

أيها الإخوة والأخوات: هناك مبادئ أساسية في علاقة المسلم بغير المسلم وهذه المبادئ مُستنبطة من أدلتها الشرعية في القرآن والسنة. فواجب على كل مسلم أن يعرف هذه المبادئ ويلتزم بها وأن يبين ذلك لغير المسلمين. ومن أهم هذه المبادئ:

١. أن الهدف من رسالة الإسلام هو الرحمة وتحقيق الخير للبشرية جمعاء بل لكل المخلوقات. يقول الله جل وعلا: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) ولم يقل سبحانه "إلا رحمة للمسلمين" بل "للعالمين". ويبين الرسول ﷺ أن هذه الرحمة ليست خاصة بالمسلمين فقط بل بالناس كافة وذلك من خلال الحديث الذي رواه البخاري أن النبي ﷺ قال: من لا يرحم لا يُرحم. والحديث الذي رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال: الراحمون يرحمهم الله. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. والملاحظ من خلال هذه الأحاديث أن الأمر بالرحمة يردُّ على إطلاقه دون قصر الرحمة على المسلمين وحدهم. فليس المسلمون وحدهم هم أهل الأرض. ثم أن من ثمرات هذه الرحمة محبة الخير للبشر وأهم ما قدمه لغير المسلمين دعوتهم للاستجابة لله ورسوله ﷺ لما يحييهم ويُحقق لهم السعادة في الدارين. فالمسلم الذي يحب الخير للناس هل يستطيع أن يوصل هذا الخير لهم وهو حاقِدٌ عليهم؟!!! أو هو كارهُ لهم؟!!! أو وهو يخطط لحربهم وقتلهم وسرقة أموالهم؟!!! لا يمكنه ذلك. فالمطلوب من المسلم أن يحب الناس من المسلمين ومن غير المسلمين. وأقصد بالمحبة هنا محبة الخير والهداية لهم ومحبة المُسالمة منهم. قد يقول قائل: هذا أمرٌ مخالفٌ لقضية الولاء والبراء. كيف نحب الخير لغير المسلمين ونحب المسالمة منهم, أي غير الحربي المُقاتل؟ أقول لك يا أخي: لو كانت محبة غير المسلم في ذاتها أمراً مُخالفاً للشرع ولقضية الولاء والبراء فلما أذن

الله إذن للرجل المسلم بأن يتزوج من كتابية!!! حيث قال سبحانه وتعالى:  
(الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ  
لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ  
قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ)  
المائدة ٥. إذا أذن الله لنا بالزواج من الكتابية. والزواج علاقة قائمة على  
المحبة والمودة والرحمة كما وصفها الله في كتابه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ  
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ). ومن هنا يجب أن نفهم أن النهي عن محبة غير  
المسلمين إنما المقصود به عدم محبة من حادَّ الله ورسوله واعتدى وظلم  
البشر. فالظالم والمعتدي والذي يسفك دماء الأطفال والأبرياء لا نحبه  
سواء كان من غير المسلمين أو من المسلمين. وليس له ولاء ولا نصره.  
فالمحبة تكون لكل البشر رغم اختلاف أديانهم.

٢. الأساس الثاني في التعامل مع غير المسلمين: دعوتهم للإسلام. ومن حق  
المدعو أن يقبل الدعوة أو أن يرفضها وهو يُحاسب على اختياره أمام  
الله. لهذا أكد القرآن الكريم وأكدت السنة الشريفة على رفض الإكراه في  
الدين كوسيلة لتبليغ رسالة الإسلام قال الله جل وعلا: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ  
فَدَ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) وأيضاً من رفض الدعوة لم يرد بشأنه عقوبة  
دنيوية حيث قال الله سبحانه: (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ  
عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) الشورى ٤٨. بل إن القرآن الكريم يوضح أن التعددية  
في المجتمعات الإنسانية بما في ذلك التعددية الدينية أمرٌ وارد وأنه ليس  
من حق المسلم ولا من واجباته القضاء على هذه التعددية, يقول الله  
تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ  
(١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ) ويقول أيضاً: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ  
لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)  
يونس ٩٩. قد يقول قائلُ فما المقصود إذن من قول الله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ

اللَّهِ الْإِسْلَامُ) آل عمران ١٩ (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) هاتان الآيتان تتعلقان بعواقب الإيمان والكفر في الآخرة وليس بعقوبة رفض الإسلام في الدنيا. فالذي يقبل ولا يقبل هو الله وحده.

٣. ومن الأسس التي ينبغي علينا فهمها في تعاملنا مع غير المسلمين: أن هناك رابطة تجمعنا بهم وهي رابطة الأخوة الإنسانية. الرابطة التي تجمعنا نحن في هذا المسجد هي الرابطة العقدية والأخوة الإيمانية وهي أسمى الروابط وهي التي جمعتنا وأزالت الفروق بين القوميات، مغربي وجزائري، وبين المستويات الاجتماعية، غني وفقير وبين تاجر وعامل. هذه الرابطة، رابطة العقيدة جمعتنا ولكن هناك رابطة إنسانية أخرى وأخوة بشرية تسعُ الناس جميعاً، مسلمهم وغير مسلمهم. ونجد الدليل والشاهد على ذلك في كثير من الآيات حيث تبدأ بقوله تعالى: (يا أيها الناس) وليس فقط (يا أيها الذين آمنوا). وهذه الآيات تتعلق عادةً بالروابط الإنسانية الكبرى بغض النظر عن الجانب الإيماني، ومثال ذلك قوله سبحانه: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تتساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) النساء ١ (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) الحجرات ١٣.

٤. ومن الأسس التي نتعامل بها مع غير المسلمين: أن الله أكرم البشر لمجرد أنهم بشر فقال: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) الإسراء ٧٠. وموضع التكريم في هذه الآية هم "بني آدم" والمسلم وغير المسلم بني آدم. ومن مظاهر التكريم حرمة الدماء والأعراض والأموال. ولذلك منع الإسلام سفك الدماء وجعل قتل نفسٍ واحدةٍ بغير حق مثل قتل الناس جميعاً. قال تعالى: (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) المائدة ٣٢. والمقصود بالنفس هي النفس البشرية على صفة العموم وليست قاصرة على نفس المسلم فقط. وهذا ما بينه النبي ﷺ بفعله, كما روى البخاري, أنه عندما مرت جنازة من أمام رسول الله ﷺ وقف احتراماً لهذه النفس. فقال له الصحابة الكرام: إنه يهودي. فقال ﷺ: أليست نفساً؟!!!.

٥. ومن الأسس أيضاً: البر والقسط ما دام مُسالماً. وذلك نراه واضحاً في قوله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَنُقُصُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) الممتحنة ٨. ومن الملاحظ أن الله وصف علاقة المسلم بغير المسلم بالبر وهي أقصى درجات الخلق. وإن هذه اللفظة "البر" ومشتقاتها وردت في الكتاب والسنة في وصف علاقة الإنسان بوالديه, وهي علاقة تشمل والرحمة والاحترام وحسن المعاملة. من المؤكد أن الله يستطيع أن يستخدم أي لفظ آخر يشير إلى حسن المعاملة ولكنه سبحانه وتعالى قال "تبروهم" لكون هذا التعبير متناسقاً تماماً مع وصف رسالة أهل الإسلام بأنها رسالة رحمة للعالمين. والقرآن يدعو المسلمين إلى الحوار السلمي من أهل الكتاب بالذات والتأكيد على القواسم المشتركة معهم قال الله سبحانه: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَذَا وَاجِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) فالقرآن يدعو إلى الحوار السلمي مع أنه يشير إلى اختلافات هامة فيما يتعلق بما آلت إليه الكتب السماوية السابقة منذ أن نزلت على أنبيائها, وكذلك في أمور أساسية متعلقة بالإيمان بالله وأسمائه وصفاته. وهذا يدل بوضوح على أن القرآن, رغم إشارته لهذه الاختلافات الهامة, يحث المسلمين على اكتشاف أهم القواسم المشتركة بينهم وبين أهل الكتاب والاستفادة منهم في التواصل معهم بل والتعاون معهم على البر والتقوى بما لا يخالف أحكام الإسلام. ومن هذه القواسم المشتركة:

أ- الإيمان بالله والنبوة والوحي والكتب السماوية واليوم الآخر والقيم الأخلاقية من مثل السلام والعدل ومحبة البشر... الخ.

فأصل الديانات السماوية واحد وهو عبادة وتوحيد الله سبحانه. وهذه هي عقيدة كل الأنبياء ولكن شرائعهم مختلفة ولذلك نلاحظ أن هناك عبادات مشتركة مثل الصلاة. فالمسلم يصلي وكذا يفعل اليهودي والنصراني. وكذلك الأمر بالنسبة للحج والصيام. إنها عبادات مشتركة والاختلاف في كيفية أدائها وهذا يدل على أن أصل الدين دين الله دين الإسلام. وما طرأ عليها من اختلافات هامة لا يمنعنا من التواصل مع غير المسلمين والتعاون معهم على الخير بما لا يخالف شرعنا.

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا الفهم الصحيح للإسلام وأن يعننا على تطبيقه

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

فيا فوز المستغفرين استغفروا الله

٦. ومن الأسس والقواعد العامة في تعامل المسلم مع غير المسلم: العدل. مطلوب من المسلم العدل مع المسلمين وغيرهم. بل إن القرآن يدعو إلى العدل حتى مع الأعداء, قال تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) وليس من العدل إساءة معاملة غير المسلمين بل ليس من العدل الرد على إحسانهم بغير الإحسان فانه تعالى يقول: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ).

أيها الأخوة: بناءً على ما ذكرت من المبادئ الأساسية بعلاقة المسلم بغير المسلم والاستدلال عليها من خلال القرآن والسنة النبوية المطهرة, فإني أؤكد وأركز على عدة نقاط ينبغي على المسلم الصادق في إسلامه أن يلتزم بها, فأنت يا أخي على ثغرة من ثغر الإسلام, فلا يؤتيت من قبلك:

١. أن الاعتداء على الآخرين وسرقة أموالهم أو الاعتداء على أعراضهم واغتصاب نسائهم بحجة أنها غنيمة وأن نساءهم سبايا، ليس من الإسلام في شيء. بل الإسلام دين رحمة وهداية (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ).

٢. يجب علينا جميعاً تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام ودعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. ويجب علينا أن نُشعر غير المسلمين أننا لا نشكل عليهم أي خطر. فالعنف وقتل الأبرياء بعيد كل البعد عن تعاليم الإسلام.

٣. يجب علينا النصح لمن يحمل أفكاراً تُسيء للإسلام ممن ينتسبون إلى الإسلام، وذلك بأن يتقوا الله وأن يفهموا النصوص الشرعية فهماً صحيحاً وأن لا يشوهوا الإسلام والمسلمين بفهمهم الخاطئ للإسلام. وأن هذا الفهم والتصرفات العدائية تضرُ بالإسلام والمسلمين قبل أن تضر غيرهم وهي ليست من الإسلام. فإن استجابوا نحمد الله وإن لم يستجيبوا فلا بدَّ من مواصلة نصحهم وحوارهم.

٤. ومن الأمور التي أود التركيز عليها هي أن الإسلام أمرنا أن نتعامل مع غير المسلمين معاملة حسنة وعلى المسلم الاستفادة من قوانين غير المسلمين في هذه البلاد بما يتوافق مع مصلحته ومصلحة أبنائه. فالنبي ﷺ والصحابة كانوا يستفيدون من قوانين غير المسلمين كقانون الحماية والحوار... فنستفيد من مدارسهم وجامعاتهم وغير ذلك مع تنبيه الأبناء على المحافظة على هويتهم وعدم الذوبان ونسيان الذات. وبنفس الوقت نبين للإخوة والأخوات أن الحفاظ على الهوية الإسلامية لا يتعارض مع حقيقة التعايش مع غير المسلمين. فالشخصية الإسلامية شخصية منفتحة على الآخرين وهذا فعل النبي ﷺ حيث كان يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين في كثير من جوانب الحياة المختلفة. ومن واجب المسلم أن يستفيد من خبرة غير المسلمين في تنظيم شؤون حياتهم والتعامل معهم

بحسن الظن وهذا ما فعله النبي ﷺ عندما هاجر, فإنه ﷺ استأجر عبد الله بن أبي أريقط ليدله على الطريق وكان عبد الله هذا من غير المسلمين. فلقد استفاد الرسول ﷺ من خبرته وأحسن الظن به حيث استأمنه على حياته لأن أعداء النبي ﷺ يومئذٍ أعلنوا عن جائزة قيمتها مائة ناقة لمن أحضر محمداً ﷺ حياً أو ميتاً.

هذه بعض المبادئ الأساسية في تعامل المسلم مع غير المسلم ولو بحثنا في القرآن الكريم والسنة النبوية لوجدنا الأدلة التي توجب على المسلم الإحسان إلى المسلمين وغير المسلمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

والحمد لله رب العالمين